

ملخص رسائل الماجستير والدكتوراه

الأزمة الثقافية للإنسان المعاصر في الأعمال المسرحية المبكرة للكاتب المسرحي هارولد بنتر

د/ عبد الله عبد الرحمن عبد الله بكير •

مجال البحث و طبيعته و أهدافه

إن الهدف الأساسي للبحث هو دراسة بعض الأعمال المسرحية المبكرة للكاتب المسرحي البريطاني (هارولد بنتر) (1930-2008) Harold Pinter وإثبات أن هذه المسرحيات توضح بشكل جلي و دقيق حقيقة الأزمة الثقافية التي يواجهها الإنسان المعاصر في المجتمع الغربي بالذات، و المجتمع الإنساني بشكل عام. والثقافة كما يعرفها علماء الاجتماع (جورج عبد النور: المعجم الأدبي: 1984، صفحة: 81): مجموعة المعارف، و المهارات التقنية و الذهنية، و أنماط من التصرف و المخالقة التي تميز شعبا من الشعوب.

و كما تعرفها موسوعة الكتاب العالمي (The World Book Encyclopedia المجلد: 4، 1982، صفحة: 942):

الثقافة مصطلح يستخدمه علماء الاجتماع لوصف طريقة حياة الشعوب. و الثقافة في لغة الإنسان اليومية قد تشير إلى النشاطات في حقول الفن و الأدب و الموسيقى. و لكنها بالنسبة لعلماء الاجتماع تحتوي على الأفكار و الأشياء الحسية، و سبل إبداع الأشياء من قبل الجماعة. فالثقافة تحوي الفنون و المعتقدات و العادات و الابتكارات و اللغة و التكنولوجيا و التقاليد.

ويمكن تعريف الثقافة أيضا (كامل المهندس و مجدي وهبة: معجم المصطلحات العربية في اللغة و

الأدب: 1984، صفحة: 129) بأنها:

ترقية العقل و الأخلاق، و تنمية الذوق السليم في الأدب و الفنون الجميلة... و إحدى مراحل التقدم في حضارة ما.

لذلك فإن علماء الاجتماع (جورج عبد النور):

* أستاذ بجامعة الأندلس للعلوم والتقنية ونائب عميد كلية الآداب والعلوم الانسانية

لا يتكلمون على ثقافة أكلة لحوم البشر، و على ثقافة البطش المبنية على العنف و التدمير، بل يذكرون الثقافة الهندية أو الصينية أو الإيرانية أو العربية التي تتراءى لهم في العادات و التقاليد المتحضرة، و في المحصلات الذهنية مثل الأدب و الفن و الفلسفة و العلم. والثقافة بالنسبة لعلماء الاجتماع هي الجانب الروحي للحضارة بينما التقدم الصناعي و التكنولوجيا هو الجانب المادي لها. و بالمزاوجة بين الجانبين فإن الحضارة تستكمل مكونات و مقومات تقدمها.

ويلخص الكاتب و الفيلسوف الوجودي الفرنسي (جان — بول سارتر) Jean- Paul Sartre (1905-1980) العلاقة المتلازمة بين الثقافة و الإنسان بقوله:

إن الثقافة لا تستثني أحداً أو شيئاً، كما أنها لا تبرر أو تبرئ. و لكنها نتاج الإنسان نفسه، و فيها يدرك ذاته. فقط هذه المرأة البارعة تبرز صورته.

وتأسيساً على ذلك فإن البحث يفترض أن أزمة الإنسان المعاصر في المجتمع الغربي هي أزمة ثقافية قبل كل شيء، و أن مسرحيات (بنتس) المبكرة هي من الأعمال الأدبية المهمة، ليس في الأدب الإنجليزي فحسب بل في الأدب الأوروبي، التي توضح فكر الإنسان و أزمته الثقافية.

من الواضح أن عالم اليوم هو عالم المتناقضات: عالم الحضارة العظيمة والتقدم الكبير؛ إلا أنه في ذات الوقت عالم يجرد الإنسان من إنسانيته **Dehumanization** وسجاياه الإنسانية. هو عالم الاكتشافات العلمية الهائلة والابتكارات العظيمة؛ و لكنه أيضاً عالم التدهور المروع في السلوك الإنساني والقيم الاجتماعية. عالم تسوده عقلية العنف و الإرهاب التي تشكل نفسية الإنسان القلقة، الحائرة المرعوبة.

و تلخص فرضية البحث في الفكرة القائلة أن أزمة الإنسان في العصر الحاضر هي حصيلة المتغيرات الاجتماعية الفائقة السرعة التي يسببها التقدم الكبير في التصنيع و التكنولوجيا. وأن إنسان هذا العصر، و بالذات في الغرب، أصبح أسير نظرية مادية وواقع مادي يصوغان قيمه و سلوكه الثقافيين.

يحدد البحث عدد من المسرحيات التي صدرت مبكراً للكاتب (هارولد بنتس) في منتصف القرن العشرين، والتي تكشف القناع عن الأزمة الفكرية و الثقافية و الاجتماعية للإنسان المعاصر في الغرب على وجه التحديد، و التي يمكن إسقاطها على واقع الإنسان المعاصر في المجتمعات الشرقية أيضاً.

و عندما نتحدث الدراسة عن الإنسان المعاصر، فإنها لا تقتصر على الفترة الزمنية خمسينيات و ستينيات القرن العشرين فقط — فترة ظهور مسرحيات بنتس المبكرة — و لكنها تتحدث عن الإنسان المرتبط بكل الموروث الثقافي للقرن العشرين، و كذا الإنسان الذي ينظر إلى مستقبل القرن الجديد.

لذلك فإن البحث عندما يتناول الأزمة الثقافية للإنسان المعاصر من خلال هذه المسرحيات، فإنه يربط ما بين الحاضر و الموروث الثقافي و الرؤى المستقبلية للإنسان. و من المفيد أن نؤكد هنا بأن البحث و هو يقوم بدراسة و تحليل المسرحيات المبكرة للعقدين الخامس و السادس من القرن العشرين؛ فإن أزمة جيل ما بعد الحرب العالمية الثانية هي حصيلة عقود سابقة كانت حبلية بالمتغيرات الفكرية و الصناعية و الاقتصادية الكبيرة في الغرب.

كما يهمننا أن نشير هنا إلى أن مسرحيات (بنتس) لا تعبر عن أزمة الفرد البريطاني فقط و لكنها تعبر عن أزمة الإنسان الغربي بشكل عام. و ربما أنها تعبر عن أزمة الإنسان المعاصر في كل المجتمعات الإنسانية الأوروبية و غير الأوروبية.

إن المجتمعات غير الأوروبية قد تواجه نفس القضايا و نفس الأزمات إن هي اتبعت نفس أسلوب الفكر الغربي المادي، دونما أي اعتبار للجوانب الدينية و الروحية في الحياة، بسبب ثورة تكنولوجيا المعلومات و الاتصال التي ألغت المسافات الطويلة و الحدود الجغرافية بين المجتمعات الإنسانية.

فالأزمة الثقافية في هذا البحث إذاً تعني ابتعاد الإنسان عن خصائصه الإنسانية الطبيعية، و الخضوع لعملية تجريده من إنسانيته.

هذا الواقع يقود الإنسان إلى معاناة مرة من الحيرة و الشك و القلق، ويقود المجتمع للعيش في أجواء علاقات اجتماعية و أسرية فاسدة.

لذلك فإن البحث و هو يتناول أزمة الإنسان المعاصر في الغرب؛ فإنه يلقي الضوء بشكل مباشر أو غير مباشر على المجتمعات غير الأوروبية، و تمكينها من إدراك المخاطر و الأزمات التي قد تصل إليها. و أن تتجنب الظروف التي أوصلت الإنسان و المجتمع في الغرب إلى أزمته الثقافية هذه، و بالتالي إلى الاختيار المتوقع للحضارة الغربية حسب تنبؤات و توقعات بعض الفلاسفة و المؤرخين الغربيين، مثل الألماني (أوزوالد سبنجلر) Oswald Spengler (1930-1880) في كتابه (انهيار الغرب) The Decline of the West . و البريطاني (آرنولد توينبي) Arnold Toynbee (1975-1889) في كتابه (دراسة في التاريخ) A Study of History.

و على الرغم من أن البحث ليس دراسة اجتماعية أو فكرية بحتة، وإنما هو دراسة أدبية في الأساس؛ إلا انه يلامس القضايا الاجتماعية و الفكرية التي تتناولها المسرحيات مشروع البحث و الدراسة.

إن النهضة الحضارية الحقيقية للإنسانية تكمن في المزاوجة بين الجانبين الروحي و المادي. و كما هي طبيعة الإنسان مزيج من الروح و الجسد فليس هناك حياة طبيعية حقيقية للإنسان ما لم يؤمن و يعتمد على الروح و المادة كأساس لحياته. يقسم البحث هذه المسرحيات إلى مجموعتين:

❖ المسرحيات التي تتناول فكرة معاناة الإنسان القلق، الحائر، الخائف الذي يبحث عن أمنه و سلامته و طمأنينته.

❖ المسرحيات التي تتناول فكرة تدهور العلاقات الاجتماعية و التفسخ الأسري. يتضمن البحث خمسة فصول:

الفصل الأول:

مقدمة عامة تبحث بشكل موجز في المشهد الفكري و الثقافي في القرن العشرين و الإشارة إلى بعض وجهات النظر الفلسفية الخلافية المتعلقة بالثقافة و الحضارة الغربية. مع التأكيد على:

- ◆ النظرية المادية و الثقافة الغربية.
- ◆ الفلسفة الوجودية و الفكر الغربي.
- ◆ مفهوم اللاحدوى و مسرح اللامعقول.

الفصل الثاني:

يستعرض هذا الفصل المسرحية البريطانية في القرن العشرين بشكل عام، مع تأكيد خاص لمرحلة الخمسينيات والستينيات التي شهدت مسرحيات (بنتر) المبكرة. وفي هذا الفصل أيضا يتناول البحث جانب من الحياة الأدبية للكاتب (هارولد بنتر) ككاتب مسرحي مبدع و مفكر، لتشكل مدخلاً لدراسة مسرحياته المبكرة في الفصلين اللاحقين.

كما يشير البحث إلى نشاط (بنتر) كداعية لحقوق الإنسان منذ بداية سبعينيات القرن العشرين. و أن مسرحياته الأخيرة في عقد الثمانينيات و التسعينيات أخذت تتناول المواضيع السياسية بشكل أكثر وضوحاً. غير أن مواقف (بنتر) الاجتماعية و السياسية لا تنطلق من منطلقات عقائدية — كما يرى بعض النقاد — و لكن من منطلقات أخلاقية.

الفصل الثالث:

يكرس هذا الفصل لدراسة مسرحيات (بنتر) التي تعالج مشاعر الحيرة و القلق و الخوف التي تتاب الإنسان المعاصر، و توقه الشديد للحصول على الامن و السلام و الطمأنينة. وفي هذا الفصل يصل البحث إلى نتيجة مفادها أنه في زمن ليس فيه مكان للجانب الروحي، زمن لا يعرف غير العنف يصعب أن يجد الإنسان فيه مأمته أو أن يحافظ على سلامته. إنها الأزمة الثقافية للإنسان المعاصر الذي يعيش في زمن لا يعترف بالوسائل السلمية و لا يعترف بالتسامح الإنساني. عالم ليس فيه سوى عقلية العنف و الإرهاب و العدوانية.

الفصل الرابع:

خصص هذا الفصل بالأساس لدراسة فكرة العلاقات الاجتماعية و التفسخ الأسري في بعض مسرحيات (هارولد بنتس) المبكرة. حيث أصبحت مسألة العلاقات الاجتماعية و التفسخ الأسري ظاهرة اجتماعية في المجتمع الغربي؛ و موضوع مهم من مواضيع الأدب في الغرب. هذه الظاهرة أخذت تهدد المجتمع الغربي و تهدد ثقافته. و لقد تناول هذه الفكرة العديد من كتاب الغرب في القرن العشرين.

كما أن كتاب المسرح البريطاني في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية قد تناولوا هذا الموضوع باهتمام أكبر و اعتبروا أن قضية التفسخ الأسري أحد وجوه الأزمة الثقافية في الغرب و الحضارة الغربية بشكل عام.

وتخلص الدراسة إلى أن (بنتس) في هذه المسرحيات يتناول واحد من أهم القضايا الاجتماعية في المجتمع الغربي. كما يعطي (بنتس) من خلال هذه المسرحيات اهتماماً خاصاً للقضايا الاجتماعية التي لها علاقة مباشرة بثقافة الإنسان في الغرب.

الفصل الخامس:

يعني هذا الفصل أساساً بنتائج البحث التي تلخص أسباب الرعب والخوف الذي يعيشه إنسان هذا العصر؛ و عوامل التفسخ الاجتماعي و الأسري. و تؤكد أن أزمة الإنسان في الوقت الحاضر هي نتاج معتقدات و سلوكيات ثقافية و فكرية و اجتماعية دخيلة في الحياة المعاصرة للإنسان بسبب مظاهر الحضارة المادية التي طغت على حياة المجتمع في الغرب، حيث أن الثقافة الغربية قد تأثرت سلباً بالتغيرات الجذرية الكبيرة في العقل و المجتمع الأوروبي، بسبب التطور الصناعي و التكنولوجي الهائل الذي حدث، و مخلفات الحربين العالميتين التي لا زالت آثارها جاثمة حتى الآن على معظم مناحي الحياة في الغرب.

النتائج الرئيسية للبحث:

تخلص الدراسة إلى عدد من النتائج منها:

- ◆ إن ثقافة الإنسان المعاصر تفتقر إلى الفضائل الروحية و القيم الإنسانية النبيلة؛ و بذلك يكون الإنسان خائفاً و جلاً لأنه يفتقر إلى هذه الفضائل و القيم.

- ◆ بإمكان الوجوديين الحصول على إجابات على ما يعتقدونه غموض الوجود؛ إذا هم أعطوا جزءاً من تفكيرهم للعقيدة الدينية. إذ أن هناك أسئلة عن الكون وعن الإنسان لا يمكن للفكر المادي أو العقل المطلق أو المنطق الإجابة عليها.
- ◆ بإمكان الإنسان الحصول على أمنه و سلامته و طمأنينته إذا هو آمن بالفضائل و القيم الإنسانية النبيلة و مارسها في حياته اليومية.
- ◆ إن طبيعة الإنسان مزيج من الروح و الجسد؛ لذلك فإن الحياة الاجتماعية و الأسرية يمكن إصلاحها إذا أعطى الإنسان اهتماماً متوازناً للجانبين الروحي و المادي في حياته.
- ◆ تستطيع المجتمعات الإنسانية المختلفة أن تفهم بعضها البعض بشكل أكثر و أن تتعايش بسلام، من خلال عملية التفاعل الثقافي. و بالتالي يسود مفهوم الحوار لا الصراع فيما بينها.

إسهامات البحث:

يقدم البحث إسهاماً متميزاً للدراسات الأكاديمية في الأدب الإنجليزي و المعرفة الإنسانية بشكل عام، و يفتح آفاقاً واسعة للباحثين من غير الغربيين لدراسات أخرى في حقول الأدب و الثقافة.